

**توثيق وجمع القرآن الكريم
في
عهد النبي (ﷺ)
في ضوء السنة النبوية**

بقلم
الأستاذ الدكتور / نور الدين عتر
رئيس قسم علوم القرآن والسنة
في كلية الشريعة - جامعة دمشق
أستاذ التفسير والحديث في كليات الشريعة والآداب
بجامعتي دمشق وحلب

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع (جمع القرآن) في مرحلته الحيوية التي هي أساس كل ما جاء بعد، وهي عهد النبي (ﷺ) ويمتاز بشمول جوانب البحث كلها، وبتحقيق المواضع الدقيقة، تحقيقاً جديداً، مع إزالة الأوهام عن بعض مسائله، بالأدلة والحجج الساطعة.

وقد توصل البحث إلى نتائج هامة : منها:

- ١ - أن ترتيب القرآن كله توقيفي بأمر النبي (ﷺ) سواء في ذلك ترتيب آياته أو سورته .
- ٢ - كثرة حفاظ القرآن عن ظهر منذ عهد النبي (ﷺ) كثرة زائدة على قدر التواتر .
- ٣ - كثرة المصاحف في عهد النبي (ﷺ) .

توثيق وجمع القرآن الكريم في عهد النبي (ﷺ)

هذا موضوع جليل يبرز خصوصية من خصائص هذا القرآن الذي تكفل الله بحفظه في إعلانه المؤكد للعالم بقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. (١)

* ما المراد من جمع القرآن؟

أول ما يتبادر إلى الذهن من هذا العنوان معناه اللغوي، وهو ضم الأجزاء المتفرقة أو الأشياء إلى بعضها، فيفهم من هذا العنوان جمع آيات القرآن إلى بعضها وترتيبها في سورها، وجمع سور القرآن إلى بعضها وترتيبها.

لكن هذا العنوان (جمع القرآن) يطلق اصطلاحاً علمياً في حفظ القرآن في الصدور وعلى تدوينه في السطور في المصاحف، مما يوجب التنبيه عند مطالعة المراجع.

* أول استعمال هذا المصطلح:

وكان أول ما استعمل هذا الاصطلاح: (جمع القرآن) في القرآن الكريم نفسه، فقد ورد فيه بمعنى الحفظ في الصدور في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾. (٢)

فإن المراد من قوله (جمعه) جمع القرآن في صدر النبي (ﷺ) بحفظه إياه.

أخرج البخاري ومسلم (٣) عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: كان رسول الله (ﷺ) يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفثيه - فقال ابن عباس: فأنا أحركها لك كما كان رسول الله (ﷺ) يحركها، وقال سعيد: أحركها كما رأيت ابن عباس يحركها، فحرك شفثيه.

فأنزل الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾.

قال: جمعه لك في صدرك، وتقرأه، ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾: قال: فاستمع له

(١) سورة الحجر: الآية: ٩.

(٢) سورة القيامة: الآيات: ١٦-١٨.

(٣) البخاري بلفظه في بدء السجدة ج ١ ص ٤ ومسلم في الصلاة (باب الاستماع للقراءة) ج ٢ ص ٣٤-٣٥ والترمذي في التفسير (سورة القيامة) رقم ٣٣٢٩ والنسائي في الصلاة (جامع ما جاء في القرآن) ج ٢ ص ٢٤٩-١٥٠.

وأنصت . ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ : ثم إن علينا أن نقرأه .

(فكان رسول الله ﷺ) بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما كان قرأه) .

فسر الحديث (جمع القرآن) الوارد في الآية بحفظه في الصدر : (جمعه لك صدرك) .

* عناية العلماء بالموضوع :

وقد عني العلماء كثيرا بدرس هذا الموضوع ، فكتبوا عنه في كتب علوم القرآن وأفردوه بالدراسة في كتب خاصة ، نذكر منها هذه المؤلفات :

- ١ - (المصاحف) لأبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت سنة ٣١٦هـ) طبع محققا باعتناء بعض المستشرقين^(١) على نسخة خطية قيمة ، مخرومة من أولها يسيرا .
- ٢ - (المصاحف) لابن أشتة : وهو أبو بكر محمد بن عبدالله بن أشتة الأصبهاني (ت سنة ٣٦٠هـ) قال فيه ابن الجزرى : (ضابط مشهور ، مأمون ثقة ، عالم بالعربية) .^(٢)
- ٣ - (الانتصار لنقل القرآن) للقاضي الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، (ت سنة ٤٠٣هـ) .

٤ - (نكت الانتصار لنقل القرآن) للصيرفي ، اختصر فيه كتاب الانتصار ، وحرص على عبارة المصنف . وهذا المختصر مطبوع بتحقيق بعض أساتذة جامعة الإسكندرية لكنها طبعة غير دقيقة .

ونلاحظ على دراسات الموضوع مايلي :

- ١ - أن بعض هذه الدراسات قد سلك سبيل الجمع للروايات من غير اعتناء بالتمحيص والنقد ، كما في كتاب المصاحف لابن أبي داود .
- ٢ - أن البعض الآخر سلك طريق المتكلمين في الجدل وأساليبه ، كما في انتصار الباقلاني ونكته للصيرفي
- ٣ - أن كثيراً من الدراسات والشروح تأثرت ببعض روايات ، صارت محور البحث فيها مما جعل بحثها قاصراً .

(١) الدكتور أرثر جفرى بتاريخ (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) ، وقد شان مقدمته بمغالطات عجيبة . وقد صور الكتاب بعض المتناولين على الكتب وحذف مقدمته وفهارسه!

(٢) غاية النهاية ج ٢ ص ١٨٤ وذكر الكتاب حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٣ .

٤ - أنهم بحثوا جمع القرآن مجملًا لم يفرّدوا عصر النبوة بالدراسة مع أنه الحلقة الأولى التي تتوقف سائر الحلقات عليها. كما أنهم لم يعرضوا فيه لجمع الآيات والسور، وترتيبها في المصحف، اعتماداً على دراستها مفردة، لكن نرى أن هذا مكانها، لأنها أساس في بحث الموضوع.

لذلك كله كان هذا الموضوع الخطير بحاجة للإفراد ببحث يتميز بدقة التنقيح والعناية بتحقيق المسائل الشائكة، وعلاج إشكالاتها بتحقيق علمي منهجي، مع الاعتناء بحسن الترتيب الذي يقرب الفائدة، ويحكم عرض الموضوع.

ولتحقيق ذلك فقد قسمنا البحث إلى ثلاثة أقسام، كما يلي:

١ - جمع القرآن في عهد النبي (ﷺ) ترتيباً لآياته وسوره.

٢ - جمع القرآن في عهد النبي (ﷺ) حفظاً في الصدور.

٣ - جمع القرآن في عهد النبي (ﷺ) تدويناً في المصحف.

توثيق وجمع القرآن الكريم في عهد النبي (ﷺ) ترتيباً لآياته وسوره

أولاً - الآيات وبيان النبي (ﷺ) ترتيبها في القرآن :

قسم الله تعالى كتابه الحكيم تقسيماً فريداً يتلاءم مع أسلوبه المعجز ، فجعل جملة في مقاطع ذات بداية ونهاية ، وجمع هذه المقاطع في مجموعات تتميز كل مجموعة منها بنفسها .

و (سمي الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب كلامهم على الجُمَل والتفصيل :

سمي جملته قرآناً كما سموا ديواناً وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضه آية كالبيت) .^(١)

وهي تسمية لها دلالتها على عظمة القرآن وجلاله .

* تعريف الآية :

الآية في اللغة : تطلق بمعنى العلامة ، الجمع : آيات ، وآى ، وآياى . ومنه قوله تعالى :

﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .^(٢)

وتطلق الآية أيضاً بمعنى الجماعة ، تقول العرب : خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم

وبمعنى العجب ، تقول : فلان آية في العلم ، أو في الجمال ، ومنه قول الشاعر :

آية في الجمال ليس له في الحُسْنِ شَبُهٌ وماله من نظير .^(٣)

وفي اصطلاح علوم القرآن الكريم : (الآية : قرآن مركب من جمل ولو تقديراً . ذو مبدأ

ومقطع مندرج في ضمن سورة) .^(٤)

وهذه التسمية دلالة بالغة النظر لمناسبة المعنى اللغوى : فهي آية بمعنى الجماعة

لاجتماع الحروف فيها ، وهي آية أى عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها . وهي آية أى

(١) من كلمة لامام البيان عمرو بن بحر الجاحظ : انظر الإتيان ج ١ ص ٥٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٤٨ .

(٣) انظر مادة (أى ١) في القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز ابادي ، ومختار الصحاح للرازي وغيرهما . وانظر البرهان في علوم القرآن ج ١

ص ٢٦٦ .

(٤) البرهان ج . ص ٢٦٦ - ٢٦٧ والاتيان ج ١ ص ٦٦ .

علامة، فكان كل آية في القرآن علامة ودلالة على صدق نبوة من أتى بها، وعجز المتحدى بها. (١)

* علم آيات القرآن توقيفي عن النبي (ﷺ) :

كان النبي (ﷺ) يوقف أصحابه على الآيات، بتحديد إياها أو بقراءته ووقوفه على رؤوس الآي، وقد قرر العلماء أن علم آيات القرآن توقيفي يؤخذ عن النبي (ﷺ).

يشهد لذلك أحاديث كثيرة في تحديد آيات من القرآن، أو عدها، منها:

حديث أبي سعيد بن المَعْلَى في سورة الفاتحة وقوله (ﷺ) : (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) أخرجه البخاري وغيره. (٢)

وفيه عد آيات الفاتحة أنها سبع.

وعن أبي مسعود الأنصاري عن النبي (ﷺ) قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) متفق عليه (٣) وحديث أبي بن كعب في قول النبي (ﷺ) له:

(يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟

قال قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. (٤) قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر). أخرجه مسلم. (٥)

وحديث ابن عباس الطويل: بتُّ عند خالتي ميمونة.. وفيه قوله: (فجعل - أي رسول الله (ﷺ) - يمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من آل عمران حتى ختم..). أخرجه البخاري. (٦)

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم إلى قوله: قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾. أخرجه البخاري. (٧)

(١) المرجعان السابقان.

(٢) البخاري في فضائل القرآن ج ٦ ص ١٨٧ وأبو داود في (أبواب ثواب ترتيب القرآن) ج ٢ ص ٧١ - ٧٢ والنسائي في الصلاة تأويل قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) البخاري ج ٦ ص ١٨٨ ومسلم ج ٢ ص ١٩٨.

(٤) هي آية الكرسي من سورة البقرة رقم ٢٥٥.

(٥) ج ٢ ص ١٩٩.

(٦) في التفسير ج ٦ ص ٤١.

(٧) في المناقب بعد الأنبياء (باب قصة زمزم وجهل العرب) ج ٤ ص ١٨٤. وقوله (ما فوق الثلاثين ومائة): أي ما بعد نهاية كل أعداد الثلاثين ومائة.

وعن عبد الله بن مسعود قال : (أقرأني رسول الله (ﷺ) سورة من الثلاثين من آل حم قال يعني الأحقاف ، وقال كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين الحديث ... أخرجه أحمد .^(١)

وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله (ﷺ) قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ و فاتحة سورة آل عمران : ﴿ ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ . أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .^(٢)

وعن المسور بن مخرمة قال : قلت لعبدالرحمن بن عوف : يا خال ، أخبرنا عن قصتكم يوم أحد . قال : أقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا : ﴿ وإذ غدوت من أهلك نبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ أخرجه أبو يعلى في مسنده .^(٣)

وغير ذلك كثير يعزُّ استقصاؤه يدل على أن علم آيات القرآن توقيفي مأخوذ عن الرسول (ﷺ) وأنها معلومة عندهم مفروغ من ذلك .

قال السيوطي : (فائدة ثانية : ذكُر الآياتِ في الأحاديث والآثار أكثر من أن يُحصَى) .^(٤)

(١) كذا أخرجه السيوطي عن السند انظر الاتقان ج ١ ص ٦٦ .

(٢) السند : ج ٦ ص ٤٦١ وأبو داود في الصلاة (باب الدعاء) رقم ١٤٩٦ والترمذي في الدعوات باب رقم ٦٥ برقم ٣٤٧٢ وحسنه .

(٣) الاتقان ج ١ ص ٦٩ - ٧٠ .

(٤) المرجع السابق : ص ٦٩ .

* إحصاء آيات القرآن :

عُني العلماء بإحصاء آيات القرآن، منذ العهد الأول، وقد أجمعوا على عدد ستة آلاف وزيادة واختلفوا في الزيادة: ففي قول على رضي الله عنه عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة، وقال عطاء: ستة آلاف وسبع وسبعون وقيل مائتان وأربع عشرة وقيل: وستمائة وست عشرة آية. وهو مروى عن ابن عباس. (١)

والسبب في هذا الخلاف إنما هو في احتساب المقطع آية أو عدم احتسابه، وذلك - كما قال الإمام الزركشي: (أن النبي ﷺ) كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فاذا علم محكها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة. وأيضاً البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه البسملة آية من السورة عدّها آية ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها). (٢)

* لطائف من إحصاء الآيات :

كشف العلماء في إحصاءاتهم الدقيقة لآيات القرآن الكريم عن لطائف هامة لها دلالتها. نذكر أمثلة منها فيما يلي: (٣)

١ - أطول آية في القرآن آية الدّين مائة وثمان وعشرون كلمة. (٤)

٢ - أقصر آية في القرآن: (والضحى) ثم (والفجر). (٥) كل آية كلمة خمسة أحرف تقديراً ثم لفظاً، ستة رسماً. لا (مدهامتان) (٦) لأنها تسعة أحرف لفظاً وتقديراً، ثمانية رسماً.

٣ - سئل الكسائي؟ كم في القرآن آية أولها شين؟

فأجاب: أربع آيات: ﴿شهر رمضان﴾، (٧) ﴿شهر الله﴾، (٨) ﴿شاكراً لأنعمه﴾، (٩) ﴿شرع لكم من الدين﴾. (١٠)

(١) انظر الأقوال في البرهان ج ١ ص ٢٤٩ و ٢٥١ والاتقان ج ١ ص ٦٧.

(٢) البرهان ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ونحوه في الإتقان من غير عزوج ١ ص ٦٧.

(٣) عن البرهان ج ١ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ - ٢٥٦.

(٤) هي آية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين...﴾ من سورة البقرة: ٢٨٢.

(٥) الآيتان أول سورة الضحى وسورة الفجر. ومثلها (والعصر).

(٦) الآية ٦٤ من سورة الرحمن، ولفظ الزركشي: (سبعة أحرف لفظاً ورسماً وثمانية تقديراً).

(٧) آية الصيام سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٨) سورة آل عمران: الآية: ١٨.

(٩) سورة النحل: الآية: ١٢١.

(١٠) سورة الشورى: الآية: ١٣.

وسئل : كم آية آخرها شين؟

فأجاب : اثنتان : ﴿كالعهن المنفوش﴾ ،^(١) ﴿لا يلاف قريش﴾ .^(٢)

٤ - أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية ، وذلك في موضعين من سورة يوسف : أحدهما : ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ .^(٣)

فبين واو ﴿كوكبا﴾ وياء ﴿رأيت﴾ ثمانية أحرف كلهن متحرك . والثاني : قوله : ﴿حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي﴾ ،^(٤) على قراءة من حرك الياء في قوله ﴿لي﴾ و ﴿أبي﴾ .

ومثل هذين الموضعين : ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ .^(٥)

٥ - آية واحدة تجمع حروف المعجم ، هي قوله تعالى في آخر سورة الفتح :

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراحم ركعاً سجداً
يتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في
التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
وأجراً عظيماً﴾ .

٦ - ليس فيه كافان في آية واحدة لا حرف بينها إلا في موضعين : في البقرة
﴿مناسككم﴾^(٦) وفي المدثر : ﴿ماسلككم في سقر﴾^(٧) وليس في القرآن (حاء)
بعدها (حاء) لا حاجز بينهما إلا في موضعين : الأول في البقرة : ﴿عقدة النكاح
حتى﴾ ، والثاني في الكهف^(٩) : ﴿لا أبرح حتى﴾ .

٧ - آية في القرآن فيها ستة عشر ميماً ، وهي ﴿قيل يانوح اهبط بسلام...﴾^(١٠) الآية .

وآية فيها ثلاث وثلاثون ميماً : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ...

الآية...﴾ .^(١١)

(١) سورة الفارعة : الآية : ٥ .
(٢) سورة قريش : الآية : ١ .
(٣) سورة يوسف : الآية : ٥ .
(٤) سورة يوسف : الآية : ٨٠ .
(٥) سورة القصص : الآية : ٣٥ .
(٦) أي مناسك الحج : الآية : ٢٠٠ .
(٧) الآية : ٤٢ .
(٨) الآية : ٢٣٥ .
(٩) سورة هود : الآية : ٤٨ .
(١٠) سورة هود : الآية : ٤٨ .
(١١) هي آية الدّين - سورة البقرة : الآية : ٢٨٢ .

٨ - ثلاث آيات متواليات ترد على ثلاث فئات ضالة في العقيدة أثرت في أفكار الناس :
الأولى : رد على المشبهة ، والأخرى : رد على المجبرة . والأخرى : رد على
الخوارج :

قوله : ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾^(١) رد على المشبهة ، الذين يشبهون الله بخلقه
تعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وقوله : ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾^(٢) ، رد على المجبرة الذين يزعمون أن
الإنسان مجبور لا اختيار له .

وقوله : ﴿فما لنا من شافعين﴾^(٣) ، رد على الخوارج الذين ينكرون الشفاعة لأهل
الإيمان .

(٣) و (٤) و (٥) الآيات : ٩٨ - ١٠٠ من سورة الشعراء ونصها مع ما يكملها : ﴿قالوا وهم فيها محتصمون . نال الله إن كنا لفي ضلال مبين .
إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ . وانظر المرجع السابق ، والفتنة الثالثة فيه هي
المرجئة . والصواب ما ذكرناه ، لما أوضحنا من التعليل .

* ترتيب آيات القرآن توقيفي :

كذلك كان النبي (ﷺ) يوقف الصحابة على ترتيب آيات القرآن . وقد أجمع العلماء سلفاً فخلفاً على أن ترتيب آيات القرآن الكريم في سورها توقيفي ، أى اتبع فيه الصحابة أمر النبي (ﷺ) ، وتلقاه النبي الكريم عن أمين الوحي جبريل عليه السلام ، لا يشتهبه في ذلك أحد. (١)

وفي ذلك يقول أبو جعفر بن الزبير : (ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه (ﷺ) وأمره لا يشتهبه في ذلك أحد). (٢)

وقال الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار : (ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا). (٣)

والأحاديث في إثبات التوقيف في ترتيب الآيات في سورها كثيرة جداً كثرة تفوق حد التواتر ، وتجعل من العسير استيعابها وحصرها ، لكننا نذكر أمثلة منها ، تلقى الضوء على صنيع النبي (ﷺ) :

أخرج البخاري عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قلت لعثمان رضي الله عنه - : (هذه الآية التي في البقرة : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ إلى قوله : ﴿غير إخراج﴾ قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها؟). قال : (تدعها يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه). (٤)

وأخرج أحمد ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (ما سألت النبي (ﷺ) عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بأصبعه في صدرى وقال : (يكفيك آية الصيف التي في آخر النساء). (٥)

وأخرج أحمد (٦) بالإسناد الثابت عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول الله

(١) البرهان ج ١ ص ٢٥٦ والاتقان ج ١ ص ٦٠ .

(٢) الاتقان ، الموضع السابق .

(٣) انظر المرجعين السابقين .

(٤) البخاري في التفسير (تفسير سورة البقرة) ج ٦ ص ٣١ .

(٥) المسند واللفظ له ج ١ ص ٢٦ ومسلم في كتاب الفرائض ج ٥ ص ٦١ ، والحديث ثابت أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال . . الحديث بنحوه . الترمذي في التفسير (سورة النساء) رقم ٣٠٤٥ وأبو داود في الفرائض (من كان ليس له ولد وله أخت) رقم ٢٨٨٨ ، ٢٨٨٩ .

(٦) المسند : ج ٤ ص ٢١٨ وانظر الاتقان ج ١ ص ٦ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥١٦ وقال : (هذا إسناد لا بأس به) .

(ﷺ) جالساً إذ شخص ببصره، ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره، فقال (أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾).

ومنها الأحاديث التي تخبر عن آيات بموضعها، وذلك يشعر بكون هذا الترتيب معلوماً شائعاً مفروغاً منه عندهم، وهي أحاديث كثيرة تعسر على الحصر: مثل الأحاديث في خواتيم البقرة في الصحيحين.

وحديث فضل من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ. (١) وغير ذلك من الأحاديث الواردة في تعيين آية أو آيات من السور، وهي كثيرة يعز حصرها، كما سبق أن ذكرنا.

ومن ذلك الأحاديث الكثيرة المتضاربة في قراءة النبي (ﷺ) سور القرآن. وغير ذلك من الدلائل يصعب جدا عدّها وإحصاؤها تثبت بما لا شك فيه أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي مأخوذ من النبي (ﷺ).

(٧) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٩٩ . ويأتي ذكره.

* بيانه (ﷺ) فضائل آيات القرآن :

لكل آية من آي الذكر الحكيم الفضل العظيم ، والثواب الجزيل بقراءتها ، ولما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل القرآن الكريم وعظمته ، وفضل قراءته وثواب القارئ ، كل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها .

وقد وردت الأحاديث النبوية في فضل بعض الآيات وخصوصياتها ، سبق بعض منها لمناسبة الاستشهاد على أن تعيين الآيات وترتيبها توقيفي .

ونزیدك بياناً عن مهمات منها فيما يلي :

١ - آية الكرسي : سبق أنها أعظم آية في القرآن ، وثبت أنها سيدة آي القرآن ، وأنها مشتملة على اسم الله الأعظم ، وأن من قرأها إذا أوى إلى فراشه لا يقربه شيطان حتى يصبح .

٢ - خواتيم سورة البقرة ، سبق أن (من قرأها في ليلة كفتاه) .

٣ - آية ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ الآية ٢٦ من سورة آل عمران : ورد أن النبي (ﷺ) قرأها بعرفة ثم قال : (وأنا على ذلك من الشاهدين يارب) أخرجه الإمام أحمد .^(١)

٤ - آية : ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ من سورة آل عمران (٢٦) : عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال : (اسم الله الأعظم في هذه الآية من آل عمران : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ . أخرجه الطبراني .^(٢)

٥ - آخر آية من سورة التوبة : ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله...﴾ عن النبي (ﷺ) قال : (من قال إذا أصبح وإذا أمسى) : (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم) سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمه) أخرجه أبو داود .^(٣)

٦ - آخر آية من سورة الإسراء : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا...﴾ : عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ﷺ) : (آية العز : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾ . أخرجه الطبراني

(١) المسند : ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) في الأدب (باب ما يقول إذا أصبح) ج ٤ ص ٣٢١ رقم ٥٠٨١ .

وأحمد. (١) وأخرج ابن جرير مرسلًا وغيره أن النبي (ﷺ) كان يعلم أهله هذه الآية:
- ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا﴾ - الصغير الكبير من أهله. (٢)

٧- الآيات العشر من أول سورة الكهف أو آخرها: عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن
النبي (ﷺ) قال: (مَنْ حَفَظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ).
أخرجه مسلم وأبو داود. (٣) وفي رواية عند مسلم وأحمد (٤): (مَنْ آخَرَ سُورَةَ
الْكَهْفِ). وهي أولى فيما يبدو لنا، ويؤيد ذلك أنه جاء بهذا اللفظ (آخر سورة
الكهف) من حديث أبي سعيد الخدري عند الطبراني في معجمه الأوسط، ورجاله
رجال الصحيح. (٥)

٨- خواتيم سورة الحشر الثلاث: عن معقل بن يسار عن النبي (ﷺ) قال: (من قال حين
يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث
آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي
وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً. ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة) أخرجه
الإمام أحمد، والترمذي. (٦)

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ج ٧ ص ٥٢ وقال: رواه أحمد من طريقين: في إحداهما رشدين بن سعد وهو ضعيف، وفي الأخرى
ابن فضالة وهو أصح منه. وكذلك الطبراني.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان ج ١٥ ص ١٢٦ وتفسير ابن كثير ج ٥ ص ١٢٩.

(٣) مسلم ج ٢ ص ١٩٩ وأبو داود برقم ٤٣٢٣.

(٤) مسلم الموضع السابق، والمسند: ج ٦ ص ٤٤٦.

(٥) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٥٣.

(٦) المسند ج ٥ ص ٢٦ وسنن الترمذي في أبواب فضائل القرآن باب ٢٢ ج ٥ ص ١٨٢ رقم ٢٩٢٢ وقال (غريب لا نعرفه إلا من هذا
الوجه). وانظر تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١٠٧ فقد استشهد بالحديث على فضل هذه الآيات.

السور وبيان النبي (ﷺ) ترتيبها في القرآن الكريم

* تعريف السورة :

السورة فيها لغتان : سورة بغير همز ، وهو المشهور وسؤرة بالهمز .
أما السورة غير مهموزة : فلها في اللغة إطلاقات متعددة لعل أقربها هنا أنها مأخوذة من
سور المدينة أو من السورة بمعنى المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة ، ومنه قول النابغة الذبياني :

ألم تر أن الله أعطاك سورة

تري كل ملك دونها يتذبذب

أي أعطاك منزلة عالية على غيرك من الملوك . وأما السؤرة مهموزة فهي القطعة أو
البقية ، من أسأرتُ أي أفضلت سؤرا . أما في الاصطلاح : فالسورة : (قرآن يشتمل على
أي ذوات فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات) .

ومناسبة التسمية واضحة ، لأنها كالسور تحيط بآياتها ، وتجمعها كاجتماع البيوت
بالسور ، أو لعلو قدرها وشرفها وعلى أنها مهموزة فهي قطعة من القرآن الكريم .^(١)

* لماذا قسم القرآن سوراً ؟

وفي تقسيم القرآن إلى سور فوائد كثيرة ، وحكم جليلة تعرض العلماء لها ، نذكر
إجماليات من كلامهم عنها فيما يلي :

قال الجعبري : (فإن قيل : ما الحكمة في تقطيع القرآن سوراً؟

قلت : هي الحكمة في تقطيع السور آيات معدودات ، لكل آية حد ومطلع ، حتى
تكون كل سورة بل كل آية فنا مستقلاً وقرآناً معتبراً .

وفي تسوير السور بمجرد ما معجزة وآية من آيات الله تعالي وسورت السور طوالا
وقصاراً وأوساطاً تنبئها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث
آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة .

ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها

(١) البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشي ج ١ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ .

يسيرا يسيرا، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه، فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على حد معتبر.

وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المساء، مرحلة بعد مرحلة أخرى، إلا أن كل سورة نمط مستقل، فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم، وغير ذلك. (١)

وقال الزمخشري: (٢) (الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة . . . منها: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً.

ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله السافر إذا اقتطع ميلاً أو فرسخاً وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للسير، ومن ثمة جزئ القرآن أجزاء وأخماساً.

ومنها: أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس: (كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلّ فينا) ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل.

ومنها: أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم إلى غير ذلك من الفوائد.

* أسماء السور:

ولكل سورة من سور القرآن اسم يميزها، مثل (الفاتحة) و(البقرة) و(آل عمران) و(النساء) وهكذا.

والأصل في هذه الأسماء التوقيف، أي الأخذ عن النبي (ﷺ)، فقد كان يعلم الصحابة بأسماء السور، كما نجده في الأحاديث في مناسبات متعددة.

فإذا نزلت عليه الآية من القرآن أمر أصحابه أن يضعوها في مكانها من سورة كذا. وإذا تحدث عن فضل سورة أو أكثر، ذكرها باسمها، مثل البقرة وآل عمران.

(١) البرهان ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ . واقتبس منه في الإنقان ج ١ ص ٦٦ مع الاختصار.

(٢) كما في المرجعين السابقين.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (اقرأوا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران . . الحديث) أخرجه أحمد ومسلم واللفظ لأحمد. (١)

وقد يذكر اسما أو أكثر للسورة للتعريف والإعلام، كما ثبت في سورة الفاتحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) (الحمد لله رب العالمين هي أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني) أخرجه أحمد وأبو داود والطبري وصححه. (٢)

وكقوله (ﷺ) لعمر - لما كرر السؤال عن الكلالة -: (يكفيك آية الصيف التي في آخر النساء) أخرجه مسلم وأحمد. (٣) وغير ذلك كثير يدل على أن تسمية السور في أصله توقيفي مأخوذ عن النبي (ﷺ). (٤)

ثم أن تسمية السور لها دلالة على السورة وارتباط وثيق بمضمونها، لأن اسم السورة يشير إلى موضوعها، أو أمر عجب فيها، أو نحو ذلك من لطائف الدلالة حتى كانت مناسبات أسماء السور موضع اهتمام العلماء، وقد جلى لنا الإمام الزركشي فوائد جلية في هذا المقام نقبستها منه وهي قوله التالي: (٥)

(... لا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم، أو أسبق لإدراك الرائي للمسمي، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها.

وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا...﴾، إلى قوله: ﴿أم كنتم شهداء﴾ (٦) لم يرد في غيرها.

(١) المسند ج ٥ ص ٢٤٩ ومسلم ج ٢ ص ٨١٩٧

(٢) المسند ج ٢ ص ٤٤٨ وأبو داود في أبواب تنزيل القرآن من كتاب الصلاة (باب فاتحة الكتاب) ج ٢ ص ٧٢ والطبري ج ١ ص ٤٧.

(٣) المسند ج ١ ص ٢٦ ومسلم ج ٥ ص ٦١.

(٤) انظر الإتيان للسيوطي فقد توسع في أسماء السور ومصادرها.

(٥) في البرهان ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٢.

(٦) سورة الأنعام: الآيات: ١٤٢ - ١٤٤.

كما ورد ذكر النساء في سور، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء . وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها .

فان قيل قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده، وما وجه تسميتها به وقصة نوح أطول وأوعب؟

قيل : تكرر هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكراره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

وإن قيل : فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود؟

قيل : لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره . .

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رعى التسمية ما ذكرنا، وانظر سورة (ق) لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف . ومن ذلك السور المفتحة بالحروف المقطعة ووجه اختصاص كل واحدة بها وليته، حتى لم تكن لترد (الم) في موضع (الر) ولا (حم) في موضع (طس)، لاسيما إذا قلنا إنها أعلام لها وأسماء عليها .

وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلماتها، ويوضحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يياثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة أفراداً وتركيباً أكثر عدداً في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلماتها وحروفها، فإن لم تجد بسورة منها ما يياثلها في عدد كلماتها ففي اطراد ذلك في المماثلات مما يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وجد ما يياثلها لجرى على ما ذكر لك .

وقد اطرد هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وضع موضع (ق) من السورة (ن) لم يكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى .

وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها (الر) مائتا كلمة وعشرون أو نحوها

فلذا افتتحت بـ(الر) وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل ، وهي أطول منها مما يركب على (الر) من كلمها مائتا كلمة مع زيادتها في الطول عليها فلماذا أوردت الحروف المقطعة في أولها (الر) انتهى .

* تعدد أسماء السورة :

قد يكون للسورة اسم واحد ، وهو كثير . وربما كان لها اسمان فأكثر .
من ذلك مثلا : سورة الفاتحة ، تسمى أيضاً : (أم القرآن) ، و(أم الكتاب) ، و(الوسع الثاني) ، كما سبق .

سورة البقرة تسمى أيضا (سنام القرآن) كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن سورة البقرة . أخرجه الحاكم .^(١)
وسورة التوبة ، تسمى (براءة) ، والفاضحة والمشقشة . وقد توسعوا في أسماء السور ، حتي ربما عد بعضهم آية تذكر من السورة أو صفة لها اسماً للسورة . ومن ذلك مثلا سورة الفاتحة ، قال الزركشي : (ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً)^(٢) ثم جاء السيوطي وتبعها فبلغت خمسة وعشرين اسماً ، وقال : (هذا ما وقفت عليه من أسائها ولم تجتمع في كتاب قبل هذا) .^(٣)

ونجد من هذه الأسماء جملة كبيرة صحيحة المستند ، وجملة لا مستند لها ، ولا يصلح أن تكون اسماً لها ، مثل (سورة الدعاء) و(سورة السؤال) : و(سورة تعليم المسألة)^(٤) . فهذه الأسماء لم يرد بها نص إنما هي استنباط من بعض العلماء لمناسبة السورة .

قال الزركشي : (وينبغي البحث عن تعداد الأسماء هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسائها . وهو بعيد) انتهى .

لكن إذا لاحظنا أن أسماء السور ليست قرآناً كان بالإمكان أن تتعدد أسماء السورة

(١) المستدرک ج ٢ ص ٢٥٩ وقال : (صحيح الإسناد ولم يخرجها) ، ووافقه الذهبي .
(٢) المحرر الوجيز لأبن عطية ج ٨ ص ١٢٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٨ أخرج تسميتها الفاضحة ابو عبيد وابن المنذر وابو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس وأخرجها أبو الشيخ عن عمر وأخرج تسميتها (المشقشة) أبو الشيخ وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن عمر .

(٣) البرهان ج ١ ص ٢٦٩ وذكر عشرة منها .

(٤) الاتقان ج ١ ص ٥٣ انظر فصل تعدد أسماء السور بتمامه ص ٥٢ - ٥٦ .

بحسب ما يظهر من المناسبة، لكن ليس كل ما يستخرج من ذلك يصلح اسماً للسورة، إلا إذا اشتهر وذاع بين أهل العلم.

مثل سورة (غافر) تسمى سورة (المؤمن) وسورة (الطول) اشتهر ذلك فصارت أسماء لها . والله أعلم .

* إشكال على تسمية السور :

ورد على تسمية السور بأسمائها التي تطلق عليها إشكال لا يحسن إغفاله في هذا المقام وهو النهي المروي عن النبي (ﷺ): عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء وكذا القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله) أخرجه ابن مردويه والطبراني والبيهقي. (١)

وبناء على ذلك قال بعض العلماء: يكره أن يقال سورة كذا. (٢) لكن جمهور أهل العلم أجازوا إطلاق الأسماء على سورها، من غير كراهة.

واستدلوا بالأحاديث الواردة في تسمية السور وهي في جملتها متواترة المعنى قال السيوطي: (٣) (وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولو لا خشية الإطالة لبيئت ذلك).

ويدل لهم الأحاديث الواردة في فضل بعض السور فإنها تذكر السور بأسمائها، وهي متواترة المعنى في إثبات ذلك.

أما الحديث الذي استدل به على الكراهة فلا يصلح دليلاً إطلاقاً، للقبح فيه سنداً ومنتأ.

أما السند:

١ - ففيه عيسى بن ميمون، وهو أبو سلمة الخواص، وهو ضعيف الرواية جداً، متروك الحديث (٤)، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع.

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٦ وفيه تحريج سند الحديث عن ابن مردويه والإتقان وخرجه عن الطبراني والبيهقي، ج ١ ص ٥٢.

(٢) كما ذكر في الإتقان: الموضوع السابق.

(٣) الإتقان: ج ١ ص ٥٢.

(٤) انظر المغني في الضعفاء للذهبي رقم ٤٨٣٥ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٢٦.

٢ - قال البيهقي في الحديث: (إنها يعرف موقوفاً على ابن عمر) ثم أخرجه عنه بسند صحيح^(١).

وهذا السند عن ابن عمر من قوله وان صُحِّح ، لكنه مشكل فيما نرى لأنه يعارض الأحاديث المتواترة في تسمية السور ، مما لا يخفى على مثل ابن عمر ومنها ما هو مُروِيٌّ من طريقه هو ، فالحديث شاذ أو متأول بغير ظاهره .

وأما المتن : فإنه منكر ، لمخالفته الأحاديث الصحيحة المتواترة تواتراً معنوياً في تسمية سور القرآن . ولعله إن سلمت نسبته قولاً لابن عمر محمول على أنه قصد التحذير من توهم أن أسماء السور من القرآن ، كما يقع خطأ في ظن العامة .

فلا يصلح الحديث دليلاً على كراهة تسمية السور ، وثبتت قوة مذهب الجمهور بل صوابه في جواز تسمية سور القرآن بأسمائها .

* أقسام السور :

قسمت السور بحسب طولها وموقعها في المصحف أقساماً ، كل قسم يضم مجموعة متتابعة من السور ، وحاصل ذلك أربعة أقسام : الطول ، والمثون ، والمثاني ، والمفصل .

وقد شاع هذا التقسيم ، وانتشر حتي أصبح من العهود الأولى معترفاً به ، ومع كونه عرفاً شائعاً فقد جاء في حديث مرفوع : عن وائلة بن الأسقع قال النبي (ﷺ) : (أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوَالَ ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ المِثْنَيْنِ . وَمَكَانَ الإنجِيلِ المِثْنَيْنِ ، وَفُضِّلَتْ بِالمُفَصَّلِ) أخرجه أبو داود الطيالسي^(٢) .

والطول : بضم الطاء جمع طُولِي ، كالكُبرِ جمع كُبْرَى . والسبع الطول : هي : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال وبراءة .

والمثون : ما ولي السبع الطول ، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية ، أو تقاربها . والمثاني : ما ولي المئين ، سميت بذلك لأنها ثنتها أي كانت بعدها ، فهي لها ثوان ، والمثون لها أوائل ، وقيل : لأنها ثنتي أي تكرر أكثر مما ثنتي الطوال والمثون ، وقيل : لثنية الأمثال فيها بالعبر والقصص .

(١) الاتقان : الموضع السابق .

(٢) في مسنده رقم ١٠١٢ ص ١٣٦ . ثنا عمران - وهو القطان من أخص الناس بقتادة (تهذيب : ٨ : ١٣٢) عن قتادة الثقة المشهور ، عن أبي المليح في ثقة (تقريب التهذيب : ٢ : ٤٧٦) عن وائلة . وهذا إسناد جيد . فيه عننة قتادة .

ويطلق (المثاني على القرآن كله ، بقوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾^(١).

ويطلق على سورة الفاتحة: ﴿السبع المثاني﴾ كما في الحديث الصحيح^(٢).

والمفصل: هو ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلاً لكثرة الفصول التي بين السور بـ (بسم الله الرحمن الرحيم). وآخر المفصل هو سورة الناس. بلا خلاف.

واختلفوا في أوله على أقوال كثيرة^(٣)، أشهرها: (ق، والحجرات، والقتال). ورجح الزركشي اختيار سورة (ق) لحديث أوس بن حذيفة الثقفي، الطويل في وفادته على النبي (ﷺ) وفيه قال أوس: (فسألت أصحاب رسول الله (ﷺ): كيف تحزبون القرآن؟) قالوا: (ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة وثلاثة عشرة وحزب المفصل) أخرجه ابن ماجه^(٤).

فإذا عددت ثمانياً وأربعين ما عدا سورة الفاتحة، كانت التي بعدهن: سورة (ق). ولكن بعض العلماء أدخلوا سورة الفاتحة في العدد، فيكون أول المفصل سورة (الحجرات) ورجح النووي أنها الحجرات^(٥). والظاهر يدل له. والحديث يدل على أن النبي (ﷺ) قد رتب للصحابة ما يقرؤون من القرآن كل يوم، حتى تحتم الختمة في أسبوع.

* فضائل السور:

تحدث القرآن وتحدث النبي (ﷺ) نفسه عن فضائل القرآن، وتضافرت الأحاديث ببيان فضائل سور من القرآن، عني العلماء بها في مؤلفات خاصة بفضائل القرآن، وفي كتب التفسير.

وقد كثر الوضع في أحاديث فضائل القرآن وسوره وآياته، مما يوجب الحذر والتيقظ ومن أشهر ذلك الحديث الطويل في فضائل سور القرآن سورة سورة، مَنْ قرأ سورة كذا فله كذا، وهكذا إلى آخر المصحف.

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢) سبق تحريجه وله شواهد.

(٣) بلغت اثني عشر قولاً انظرها في البرهان ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ والاتقان ج ١ ص ٦٣.

(٤) من كتاب الإقامة (باب في كم يستحب يحتم القرآن) ج ١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ رغم ١٣٤٥ ويشهد له حديث عبدالله بن عمر أنه (ﷺ) أمره أن يقرأ القرآن في سبع.

(٥) الاتقان ص ٦٣.

ينسب إلى ابن عباس أو إلى أبي بن كعب فهو حديث موضوع، أخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعتُ هذا الحديث حُسْبَةً؟! (١).

وروي ابن حبان في مطلع كتابه (الضعفاء والمجروحين) عن أبي مهدوي قال: قلت لميسرة بن عبدربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: (وضعتها أرغب الناس فيها؟). (١) وقد صح جملة من الأحاديث في فضائل سور من القرآن خاصة وهي: الفاتحة والبقرة وآل عمران والسبع الطوال جملة، الكهف، يس، الدخان، تبارك الزلزلة، النصر، الكافرون، الإخلاص، المعوذتان. (٢).

* ترتيب النبي (ﷺ) سور القرآن :

كان النبي (ﷺ) يبين للصحابة موضع السور من القرآن الكريم بقوله الصريح، أو بفعله بقراءته السور مرتبة على مسامعهم.

وقد اتفق جماهير العلماء على أن ترتيب كل سور القرآن توقيفي، وليس بتصرف اجتهادي بحث من الصحابة، وإن كانوا اختلفوا هل كل ذلك بتوقيف قولي صريح من النبي (ﷺ) ينص فيه على كل سورة أنها بعد سورة كذا، أو أن بعض هذا الترتيب قد استند فيه الصحابة إلى مستند فعلي، من قراءة النبي (ﷺ) مثلاً. وقد سها بعض المعاصرين الأفاضل عن هذه الحقيقة، وراح يعزو إلى الجمهور القول بأن ترتيب السور اجتهادي ظناً أن قول بعض العلماء (٣) «إنه (ﷺ) فوض ذلك إلى أمته» ونسبته ذلك إلى الإمام مالك وغيره أن ذلك يعني عدم بيان ترتيب السور بأي بيان.

وهذا خطأ، فإن الخلاف بين الجمهور هو كل الترتيب للسور ببيان قولي صريح، أو بعضه هكذا، وبعضه بغير القول. فكان مآل الأمرين إلى أنه توقيفي، وإن اختلفت طريقة التوقيف.

(١) انظر تخريج الروايتين في الاتقان ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي ص ١٩٠، وانظر تفصيل تخريجها في الاتقان ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٥.

(٣) البرهان ج ١ ص ٢٥٧.

ولهذا قال الزركشي^(١) معلقاً على رأى الإمام مالك: (والخلاف يرجع إلى اللفظ، لأن القائل الثاني - أي أن الترتيب من فعل الصحابة - يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: (إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ)، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم. فأل الخلاف إلى أنه هل ذلك بتوقيف قولي أم أنه بمجرد استناد فعلي...).

وذهب ابن عطية وبعض العلماء إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته (ﷺ)، كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصل. وأن بعض السور يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

ولعل أقوى ما يستدل به لهذا الرأى حديث ابن عباس قال: (قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموهما في السبع الطوال؟

فقال عثمان: كان رسول الله (ﷺ) تنزل عليه السورة ذات العدد. فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضَعُوا هؤُلاءِ الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله (ﷺ) ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال) أخرجه أحمد والثلاثة وابن حبان والحاكم.^(٢)

واستدلوا بمخالفة ترتيب بعض السور في مصاحف بعض الصحابة، كتقديم سورة النساء على آل عمران في مصحف أبي بن كعب، واعتبار سورتي الفيل وقريش سورة واحدة في مصحف أبي أيضاً.^(٣)

لكن لا حجة لهم في هذه الأدلة لما يلي:

(١) المرجع السابق.

(٢) الاتقان ج ١ ص ٦٠ وانظر تخريج الحديث في المسند ج ١ ص ٥٧ و ٦٨ وسنن أبي داود في الصلاة (باب من جهر بها) أي بسم الله الرحمن الرحيم رقم ٧٨٦، والترمذي في تفسير القرآن أول تفسير سورة التوبة ج ٥ ص ٢٧٢ وقال: (هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف (يعني ابن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. ويزيد الفارسي قد روي عن ابن عباس غير حديث. ويقال هو يزيد بن هرمز. وانظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي: ١: ١٢٥ - ١٢٦. والمستدرک: ٢: ٣٣٠ و ٢٢١ وصححه ووافقه الذهبي. وفي المكان الثاني صححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. فتأمل!).

(٣) الإتقان ج ١ ص ٦٤ و ٦٥.

أما الحديث فإن الاستدلال به غير سديد سنداً وامتناً:

أما السند: فإن إسناد هذا الحديث لا يرقى لأن يكون حجة في قضية هامة كهذه، لأنه من طريق يزيد الفارسي، قال فيه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب^(١) «مقبول»، وهذه العبارة أدنى مراتب التعديل اذ يحتج بمن قيلت فيه، كما أن أحداً لم يوثقه، فكيف يمكن أن يكون حجة في هذه المسألة؟.

وأما المتن فمنتقد من أوجه، منها:

١ - أن هذه مسألة خطيرة، وكان الصحابة يقرءون القرآن ويتلقونه بغاية الحرص فكيف لا يوجد عند أحد منهم علم بسورتين كبيرتين من سور القرآن هل هما سورة واحدة أو سورتان، وهذا يناقض الرواية عن عثمان (أن النبي لم يبين بأنها منها)، فمثل هذه المسألة تنافي ما تحكم به القضية العقلية، فلا يقبل فيها إلا أخبار العدد المستفيض من الثقات، فكيف يقبل خبر واحد هو دون الثقة برتب؟.

ولم يكن يزيد الفارسي هذا رجل اعتناء بالعلم والحديث، إنما كان يكون مع الأمراء، كما قال الإمام يحيى بن سعيد، وكان كاتباً لعبيد الله بن زياد، الأمير المعروف^(٢).

٢ - قوله (وكانت قصتها شبيهة بقصتها)، غير مقبول، لأن موضوع سورة الأنفال غزوة بدر، والدروس التي تؤخذ منها، أما موضوع سورة براءة فهو البراءة من المشركين وإنهاء الصلح معهم والحديث المستفيض عن المنافقين حتى سميت الفاضحة، وإنما بين السورتين ما بين كل سورتين متتاليتين في القرآن من التناسب.

٣ - قوله (فقبض رسول الله ﷺ) ولم يبين لنا أنها منها)، فيه خلل أكيد، فقد ثبتت تسمية سورة (براءة) في أحاديث كثيرة، تسميها باسمها الخاص (براءة) فكيف يتأتى الزعم بخفاء أمرها على الصحابة.

٤ - يؤيد ما ذكرناه أيضاً ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال: سألت علي بن أبي طالب: لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

(١) ج ٢ ص ٣٧٣.

(٢) الضعفاء للبخاري ص ١٢٢ رقم ٤٠٧ طبع دار الوعي، وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٧٤.

وقال الإمام القشيري : والصحيح أن البسمة لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها .

أما مخالفة بعض مصاحف الصحابة في ترتيب بعض السور، فهو اجتهاد منهم لأنفسهم، لم يتمسكوا به، فلا حجة فيه ولا دليل إذن على أن ترتيب شيء من سور القرآن كان بتصرف من أحد، فيكون كله توقيفياً .

والأدلة على أن ترتيب السور كلها توقيفي كثيرة جداً من السنة، نجد فيها ترتيب السور على وفق مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، نذكر منها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : في بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : (إنهن من العتاق الأول، وهن من تлады) . أخرجه البخاري .^(١)

فذكر ابن مسعود السور نسقاً كما استقر ترتيبها . ومثله في البخاري أيضاً، أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين .

وعن وائلة بن الأسقع أن النبي (ﷺ) قال : (أُعطيْتُ مكانَ التوراة السبعَ الطوال، وأُعطيْتُ مكانَ الزبور المثين، وأُعطيْتُ مكانَ الإنجيلَ المثاني، وَفُضِّلْتُ بِالْمُقَصَّلِ) أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو عبيد .^(٢)

قال أبو جعفر النحاس : (وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي (ﷺ) ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله (ﷺ) على تأليف القرآن، وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال سورة على حدة، وليست من براءة) انتهى .^(٣)

وعن سعيد بن خالد أنه قال : (قرأ ﴿ﷻ﴾ بالسبع الطوال في ركعة) أخرجه ابن أبي شيبة .^(٤)

(١) في فضائل القرآن (باب تأليف القرآن) - أي ترتيبه - ج ٧ ص ١٨٥ . وانظر البخاري ج ١ ص ٢٦٣ ، وانظر فيه البحث الخاص بهذا ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) من رواية سعيد بن بشر عن قتادة عن أبي المليح الهزلي عن وائلة ، وفي حديث سعيد لين، لكنه ورد من طريق آخر هو عمران القطان عن قتادة عند الطيالسي كما في البرهان ج ١ ص ٢٤٤ و ٢٥٨ فتقوى من هذه الناحية .

(٣) البرهان ج ١ ص ٢٥٨ ونقله في الإتيان بتصرف ج ١ ص ٦٢ .

(٤) الإتيان الموضع السابق .

وعن أوس بن أبي أوس عن حذيفة الثقفي في حديث طويل قال فيه أوس : فسألت أصحاب رسول الله (ﷺ) كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث^(١) ، وخمس ، وسبع وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد. (٢)

وغير ذلك يضيق المجال عن حصره . ويشهد لذلك من حيث الدراية والعقل واقع الترتيب وطريقته ، وذلك من وجهين لا يشك الناظر فيهما أن الترتيب بين السور توقيفي : الأول : مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم ، رتبت ولاء ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبحات ولاء ، وأخرت طس عن القصص . وهكذا من يتدبر السور . الثاني : ما راعاه العلماء الأئمة في بحوثهم من التزام بيان أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها ، وبيان وجه ترتيبها .

وقد أجمل الإمام الزركشي^(٣) بيان ذلك برموز موجزة جدا لكنها معبرة فقال :
(لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم : أحدها بحسب الحروف ، كما في الحواميم .

وثانيها : لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد في المعنى وأول سورة البقرة .
وثالثها : للوزن في اللفظ ، كآخر تبت وأول الإخلاص .

ورابعها : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى ، مثل (والضحي) و (ألم نشرح) .

(١) أي ثلاث سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، وخمس سور بعدها وهكذا ... حتى يجتم في أسبوع ، كما سبق في حديث عبدالله ابن عمرو .

(٢) البرهان ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ والاتقان ٦٣ ، وانظر الحديث في أبي داود رقم ١٣٩٣ ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦ وابن ماجه ج ١ ص ٤٢٧ رقم ١٣٤٥ والمستدج ٤ ص ٩ و ٣٤٣ .

(٣) البرهان ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٢ وانظر بقيمة كلامه بطوله هناك .

توثيق وجمع القرآن في عهد النبي (ﷺ) حفظاً في الصدور

* حفظ النبي (ﷺ) للقرآن :

كان أعظم العالم حفظاً لهذا القرآن أول الخلق عند الله وأفضل الرسل الذي نزل على قلبه القرآن، وقد تكفل الله تعالى له بحفظه في قلبه، فقال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه...﴾ وقد ثبت تفسير الآية بجمع الصدور، أي حفظه في الصدر. (١)

كان النبي الكريم يتلو هذا القرآن عن ظهر قلب في الصلاة وغيرها من المناسبات المختلفة لا يفتر لاسيما في صلاته بالليل، حتى إنه ليقراً في الركعة الواحدة من السور الطوال البقرة وآل عمران والنساء. (٢)

ولزيادة التثبيت كان جبريل يعارضه بالقرآن كذلك. أخرج البخاري ومسلم (٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: (كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه) أخرجه البخاري. (٤)

* حفظ الصحابة للقرآن الكريم :

توفرت للصحابة العوامل التي تجعلهم يحرصون على حفظ القرآن إلى أقصى حد وتجعل حفظ القرآن يتوفر فيهم إلى أبعد مدى. ومن تلك العوامل:

(١) كما في حديث ابن عباس في الصحيحين.
(٢) كما في حديث حذيفة عند مسلم ج ٢ ص ١٨٦ وابي داود رقم ٨٧١ و٨٧٤ والنسائي ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ و ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
(٣) البخاري في فضائل القرآن ج ٦ ص ١٨٦ ومسلم ج ٧ ص ٧٣.
(٤) البخاري في الموضوع السابق.

١ - قوة ذاكرة الصحابة الفذة: العرب قوم عرفوا بحدة ذكائهم وقوة ذاكرتهم، حتى كان الواحد منهم يحفظ القصيدة بالسمعة الواحدة، وقد شغفوا بهذا القرآن وألعبوا به، حتى كان هجيراً هم ودأبهم ليل نهار، يقرءونه في صلواتهم، ويتهجدون به في ليلهم، ويترنمون به بدلاً من أشعارهم وأرجازهم، مما يتكفل بحفظهم للقرآن حفظاً متيناً راسخاً.

٢ - نزول القرآن منجماً، كما هو معلوم مسلم به.

٣ - لزوم قراءة شيء من القرآن في الصلاة، وما هنالك من الفضل والثواب في تطويل المفرد صلواته لنفسه.

٤ - وجوب العمل بالقرآن، حيث كان هو ينبوع عقيدتهم وعبادتهم ووعظهم وتذكيرهم، ترجموه الى سلوك وخلق وحضارة.

٥ - حض النبي (ﷺ) على قراءة القرآن والترغيب بها أعد لقارئ القرآن من الثواب والأجر العظيم، والقوم أميون لا سبيل لهم إلا الحفظ عن ظهر قلب، وقد حددت السنة أقصى مدة للمسلم يختم بها القرآن شهراً، أو أربعين يوماً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): (الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران). متفق عليه^(١).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (ﷺ): (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلت عند آخر آية تقرأها) أخرجه الترمذي وأبو داود.^(٢)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ولكن «ألف» حرف و«لام» حرف و«ميم» حرف) أخرجه الترمذي.^(٣)

(١) البخاري في التفسير (تفسير سورة عبس) ج ٦ ص ٦٦ ومسلم في صلاة المسافرين (فضل الماهر بالقرآن ج ٢ ص ١٩٥).

(٢) الترمذي في فضائل القرآن رقم ٢٩١٤ في صحيحه وأبو داود في الصلاة رقم ١٩٦٩ وأخرجه أحمد ج ٢ ص ١٩٢.

(٣) في فضائل القرآن رقم ٢٩١٠ وقال: (حسن صحيح غريب من هذا الوجه).

وعن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله (ﷺ) (اقرأ القرآن في شهر، قلت : إني أجد قوة، حتي قال : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك) متفق عليه .^(١)

فكان الصحابة لذلك يدأبون يتلون كتاب الله، كيف لا ، وقد كان التفاضل عندهم بهذا المقياس ، فالإمام الذي (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) والشهداء عند دفنهم يقدم في اللحد أكثرهم أخذاً للقرآن، والرجل لا مال له يتزوج، يغنيه حفظه من القرآن عن الثروة فيقول له النبي (ﷺ) (زوجتكها بما معك من القرآن)، وهكذا حتي صارت لهجة الصحابة بقراءتهم من الليل خير دليل على الحي الذي تقطنه القبيلة منهم، كما ورد في الحديث الصحيح .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : (اني لأعرف رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل . وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار) رواه البخاري ومسلم .^(٢)

٦ - تعاهد النبي (ﷺ) الصحابة بتعليم القرآن : فكان الصحابة تلامذة للنبي (ﷺ) يتعلمون منه القرآن، وكان النبي (ﷺ) شيخهم، يتعاهدهم بتعليم القرآن . فإذا أسلم أهل أفق أو قبيلة أرسل اليهم من القراء من يعلمهم القرآن، وإن كان في المدينة ضمه إلى حلق التعليم في جامعة القرآن النبوية .

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي (ﷺ) إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يُسمع لمسجد رسول الله (ﷺ) ضجة تلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله (ﷺ) أن يخفصوا أصواتهم لئلا يتغالطوا .^(٣)

فكان من الطبيعي ضرورة ذلك كله أن يكثر حفاظ القرآن الذين يحفظونه كله والذين يحفظون جملاً منه، وأن يكون كما قال الزركشي : (حفظه في حياته جماعة من الصحابة، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حد التواتر).^(٤)

بل يعجبنا في هذا قول الإمام الباقلاني المحقق : (إن الصدر الأول ومن بعدهم من المسلمين يعظّمون شأن القرآن، ويتقربون إلى الله تعالى بتعليمه، لا شيء أحق

(١) البخاري واللفظ له في فضائل القرآن ج ٦ ص ١٩٦ - ١٩٧ ومسلم في الصيام .

(٢) البخاري في المغازي (باب غزوة خيبر) ج ٥ ص ١٣٨ ومواضع أخرى، ومسلم في فضائل الصحابة ج ٧ ص ١٧١ .

(٣) انظر مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ٢٣٤ .

(٤) البرهان ج ١ ص ٢٤١ .

بالحيطة عندهم منه والحفظ له ، فكيف تكون هذه صفتهم ولا يحفظون كتاب الله تعالى ولا يضبطونه ، وهم قد مكثوا نيفا وعشرين سنة ينزل فيهم القرآن على النبي (ﷺ) ، وينقلونه عنه مع ما يحضهم به عليه (ﷺ) على تحفظه ... (١)

وقد وافتنا الوثائق الثابتة الصحيحة بنماذج عن كثرة الحفاظ بين الصحابة ، فهذه حرب المرتدين في اليمامة يقتل فيها سبعون من القراء ، بل ثبت بأوثق الإثبات أنه (ﷺ) أرسل في وفادة واحدة لتعليم بعض القبائل سبعون من القراء ، وهم الذين غدر بهم المشركون في طريقهم وقتلوهم ، كما في الصحيحين . (٢)

وإننا إذ نوضح هذا نذكر أولاً جيلنا بواجبهم تجاه القرآن الكريم وأن يجذوا حذو سلفهم الصالح في حفظ القرآن ، أو على الأقل أن يجعل المسلم من تحصيله ودرسه للقرآن حصة كسائر ما يدرسه ويتحفظه من المعارف . ونذكر ثانياً بتلك الصيانة الكبيرة الواسعة التي أحيط بها القرآن منذ عصره الأول ولم يزل كذلك حتى وصل إلينا بنقل الكافة عن الكافة .

على أن التاريخ إذ يسجل بدقة سمات مجتمع سلفنا ، فإنه في الظواهر العامة لا يستطيع أن يسجل كل حالة على انفراد من حالات السمة العامة ، إنما يسجل الحالات الخاصة والتميزة عن سائر الأفراد فهو لا يسجل من الأطباء كل طبيب ولا من المهندسين كل مهندس ولا من العباد كل عابد ، ولا من الفقهاء كل فقيه ، إنما يسجل من هؤلاء وهؤلاء الأفاذا الذين بزوا أقرانهم ، وفاقوا أئدادهم ، حتى يكونوا كالمراجع لهم ، لا يتبادر إلى الذهن لدى ذكر اختصاصهم غيرهم .

وقد أرشد النبي (ﷺ) إلى مثل هؤلاء ليأخذوا عنهم القرآن ، كما أرشد وذكر مناقب اختص بها واحداً منهم أو اثنين بالذكر ، ولم يفهم من ذلك أحد حصر القضية فيهم .

عن مسروق أنه قال : (ذكر عبدالله بن عمرو عبدالله بن مسعود فقال : لا أزال أحبه ، سمعت النبي (ﷺ) يقول : خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب . أخرجه البخاري . (٣)

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٦٠ .

(٢) انظر تفصيل الحادثة في البخاري (باب غزوة الرجيع) ج ٥ ص ١٠٥ ومواضع أخرى ومسلم في المساجد ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) البخاري في فضائل القرآن ج ٦ ص ١٨٦ .

فقد أمر بالأخذ من هؤلاء الأربعة في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت يحفظ القرآن غيرهم، بل كان الذين يحفظونه مثل الذين حفظوه وأزيد منهم جماعة من الصحابة. (١)

يدل على ذلك ثبوت حفظ غيرهم من الأحاديث الصحيحة منهم عبدالله بن عمرو نفسه، فقد ثبت عنه أنه كان يختم القرآن كل ليلة، فقال له رسول الله (ﷺ): (اقرأ القرآن في شهر..). الحديث السابق، وعبدالله بن عمرو غير مذكور في هذه الآثار فيمن جمع القرآن، فدل على أنها ليست للحصر.

وعلى هذا النحو ورد الحديث عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد النبي (ﷺ)؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبو زيد أخرجه البخاري. (٢)

فقد ذكر أنس هؤلاء لمعنى خاص لاحظه، أو أنهم هم الذين حضروا لذهنه. وأما رواية قول أنس: (مات النبي (ﷺ) ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد) أخرجه البخاري أيضاً عقب الرواية السابقة، فليس يصلح أن نأخذ منها ما يخل بما قدمنا الدلالة القاطعة عليه. أما السند: فقد انتقده العلماء بأنه خالف الرواية الأولى وهي الأصح عند البخاري كما أشار لذلك البخاري نفسه، والمخالفة جاءت من وجهين: أحدهما التصريح بالحصر، والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أبي ابن كعب، وقد استنكر جماعة الأئمة الحصر في الأربعة. (٣)

وأما المتن فلا يصلح فهمه على معنى نفي الحفظ عن غير هؤلاء، وحسبنا حديث أنس الأول دليلاً حاسماً في المسألة، فقد ذكر فيه أبي بن كعب ولم يذكر أبا الدرداء، وتحصل من الروایتين خمسة، ولم يذكر سالما وابن مسعود اللذين في حديث عبدالله بن عمرو، فصار المجموع سبعة، وغاية ما هنالك ان الراوي فهم الحصر من الحديث فرواه على المعنى الذي فهمه، فأخطأ فيه، وخالف الثقات، لذلك قال الإمام البيهقي في المدخل (الرواية الأولى أصح). (٤)

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٤٣. (٢) ج ٦ ص ١٨٧. (٣) الاقنآن ج ١ ص ٧٠، ولا يشكل على ذلك ورود الرواية في البخاري، لأن البخاري قد يورد الحديث من أكثر من وجه، لبيان قوة أصل الحديث، والتنبيه على ما في بعض الروايات فلا يقدر ذلك فيه، لأن العهدة على الأصل. (٤) البرهان: ج ١ ص ٢٤١.

وأجيب عن المتن على تقدير صحته وسلامته من أي علة بأن المراد به الحصر الإضافي لا الحقيقي، والمعنى: لم يجمعه على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك نفر. (١)

ورجح الحافظ ابن حجر: أن المراد بذلك الحصر في الخزرج دون الأوس، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين، لأنه قال ذلك في معرض المفارقة بين الأوس والخزرج. (٢)

ونقول مع الإمام الباقلاني (٣): ان (جميع ما قدمناه من صفات الصحابة، وتمسكهم بالقرآن، وتحفظهم له معلوم ضرورة بأخبار متواترة المعنى، فلا يترك ذلك لأخبار آحاد، بل يجب أن يعتقد في أخبار الآحاد الضعف والوهن أو تأويلها على وجه يصح ويجمع بينها وبين الخبر المتواتر).

وقد تنوعت المواصفات التي سردت فيها قوائم القراء من الصحابة، فهناك الأئمة الذين اشتهروا أكثر وكانوا مصادر تلقى عنهم المسلمون وهم سبعة (عثمان، وعلي، وأبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وأبو موسى الأشعري). (٤)

وهناك آخرون كثيرون ذكرهم العلماء. وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - في كتاب القراءات الذي صنفه (٥) - القراء من أصحاب النبي (ﷺ)، فعدّ من المهاجرين: الخلفاء الراشدين الأربعة، وطلحة بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان وسالما مولى أبي حذيفة، وأبا هريرة، وعبدالله بن السائب، والعبادلة (وهم: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو ابن العاص، وعبدالله بن الزبير)، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة.

وحفظ القرآن من الأنصار في حياة النبي (ﷺ): عبادة بن الصامت، ومعاذ أبو حليمة، ومجمّع بن جارية، وفُضالة بن عبيد، ومَسْلَمَةُ بن مَخْلَد.

لكن هذا التعداد ليس للحصر قطعاً، فهناك أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك.

(١) المرجع السابق وانظر الانتقان ج ١ ص ٧١، وانظر أصل الموضوع في نكت الانتصار ص ٦٧ وما بعد ومواضع أخرى، فإن كتاب الانتصار للباقلاني هو مرجع للكاتبين في موضوع جمع القرآن. وقد أخذ عنه في المرشد الوجيز ص ٣٨ - ٤٠.
(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٤٦.
(٣) كما في نكت الانتصار ص ٦٧.
(٤) الانتقان ج ١ ص ٧٢.
(٥) كما نقل عنه أبو شامة الوجيز ص ٤٠ - ٤٢ والسيوطي في الانتقان ج ١ ص ٧٢ وقال إنه صرح بأن بعضهم كله بعد النبي (ﷺ) وهذا لا يخل.

وقد أضاف الإمام الذهبي^(١) جملة من القراء إلى ما ذكره أبو عبيدة وهناك غيرهم كثير يستخرجهم القارئ من دراسة الكتب المؤلفة في الصحابة، ومما تتوارد به الروايات في المراجع.^(٢)

وهكذا ثبت حفظ الصحابة للقرآن في صدورهم في عهد النبي (ﷺ) بما بلغ رتبة التواتر بل يزيد عليها أضعافاً، تجعلنا نتيقن ما قاله الإمام أبو الخير بن الجزري: (إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة).^(٣)

وذلك مصداق البشارة التي وردت عن الأنبياء السابقين في وصف هذه الأمة:

(أناجيلهم في صدورهم)، وهو تحقيق للحديث القدسي (إني مبتليكم ومبتل بك، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان).^(٤) كما أن هذا من تحقيق الإعلان القرآني الذي كرره القرآن وأكدته: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

(١) في كتابه طبقات القراء كما نقل عنه المزركشي في البرهان ج ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.
(٢) ومن ذلك: أبو زيد الذي ورد اسمه في الصحيح وكمثل هذه الصحابة التي وجدها السيوطي ولم يعدها أحد وهي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث: وكان رسول الله (ﷺ) يزورها ويسميها الشهيدة. وكانت قد جمعت القرآن، انظر الاتقان ج ١ ص ٧٢، وكذلك أبو امامة. وكان يقريء في مسجد دمشق مع أبي الدرداء.
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ج ١ ص ٢٣٥.
(٤) أخرجه مسلم في حديث طويل في كتاب الجنة (باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) ج ٨ ص ١٥٨ - ١٥٩.

توثيق وجمع القرآن الكريم في عهد النبي (ﷺ) تدويناً في السطور

وهو لون من الحفظ يدون مع الزمان، لا يذهب بذهاب الإنسان فلا غرو أن يتحقق أكمل تحقق لهذا الكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

لقد عني النبي (ﷺ) بكتابة القرآن عناية بالغة جداً، منذ بدء نزول الوحي عليه، ونذكر بأن أول الصحابة إسلاماً هو أبو بكر الصديق كان كاتباً، فكان النبي (ﷺ) كلما نزل عليه نجم من القرآن دعا الكتاب فأملأه عليهم، فكتبوه على ما يجدونه من أدوات الكتابة حيثئذ مثل الرقاع، واللخاف، والأكتاف والعسب^(١) وقد اشتهر أن عدد كتاب الوحي خمس وعشرون كتاباً^(٢)، لكنه فيما يبدو أكثر من ذلك بكثير. فقد بلغ عدد الكتاب زهاء الستين حسبما أفاده الإحصاء المستقصى لبعض المحققين^(٣)، وقد حصر النبي الكريم جهد هؤلاء الكتاب في كتابة القرآن فمنع من كتابة غيره إلا في ظروف أو لبعض أناس مخصوصين، كما في الحديث الصحيح: لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه) أخرجه مسلم.^(٤)

فتتحقق بذلك توفر طاقة كبيرة لكتابة القرآن وترتيبه، كما أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن أنس رضي الله عنه قال: (كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف القرآن من الرقاع..)^(٥)، ومقصود هذا الحديث فيما نرى هو أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفارقة في سورها أي جمعها فيها بإشارة النبي (ﷺ)^(٦).

ومن هنا كان لا بد أن تتوفر نسخ كثيرة من القرآن مدونة عند عدد من الصحابة مثل (أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، فبغير شك جمعوا القرآن، والدلائل عليه متظاهرة).^(٧)

(١) الرقعة القطعة من الاديم أي الجلد ونحوه، واللخاف الحجارة الرقيقة، والعسب: سعف النخل يكشط طرفه العريض ويكتب عليه.

(٢) انظر المرشد الوجيز ص ٤٦.

(٣) ابن حديدة الأنصاري في كتابه (المصباح القضي في كتاب النبي العربي) مخطوط، بدار الكتب الوقفية بحلب.

(٤) مسلم في الزهد ج ٨ ص ٢٢٩ وأحمد ج ٣ ص ٢١ بلفظه، وانظر في المسألة كتابنا منهج النقد ص ٣٩ وما بعد.

(٥) المستدرک ج ٢ ص ٢٢٩ وانظر الإقتان ج ١ ص ٥٧ والمرشد الوجيز ص ٤٤ - ٤٥.

(٦) على ما فسره الامام البيهقي كما في الإقتان.

(٧) البرهان ج ١ ص ٢٣٩.

أما ما هو مشهور أن النبي (ﷺ) توفي ولم يجمع القرآن في كتاب، وأن (أول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر) فلا يخالف ما قررناه، لأنه لا ينفي كتابة القرآن، إنما ينفي جمع نسخة مضمونة إلى بعضها من القرآن جمعاً رسمياً. لأن ما كتب من نسخ القرآن لم يوضع بوضع نهائي، لعدم إمكان ذلك، بسبب استمرار الوعي إلى ما قبل وفاته (ﷺ) بوقت قريب جداً، لا يتسع لهذا العمل. وهو تسع ليال فقط كان قسم كبير منها مشغولاً بمرضه عليه الصلاة والسلام. كما أن كل كاتب كتب القرآن لنفسه، لا ليكون مرجعاً للناس، وهكذا حتى كان العمل الكبير في خلافة أبي بكر الصديق، الذي نهض بجمع القرآن جمعاً رسمياً على ملاء من الصحابة، وأعد مصحفاً مرجعاً للأمة.

* سؤال وجوابه :

لكن قد يتبادر للذهن سؤال هو أنهم ما داموا كتبوا القرآن، فكيف يقع الخوف من الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بمقتل كثير من القراء أي حفاظ القرآن في المعارك المتوقعة.

والجواب عن ذلك من وجوه نذكر منها:

- ١ - أنه لا يكتفي في تثبيت نص القرآن وتوثيقه بالكتابة وحدها دون الحفظ، ولا بالحفظ وحده دون الكتابة، بل لابد من اجتماع الحفظ بالواسطتين جميعاً. لذلك سمي القرآن (قرآناً) وسمي (كتاباً)، لاجتماع الصفتين فيه الحفظ في الصدور والكتابة في السطور.
- ٢ - أن الاعتماد على الألواح المكتوبة دون كاتبها طريقة ضعيفة في الأخذ والتلقي، لأن الصحيفة وحدها لا تكفي لإثبات مضمونها أنه قرآن، وإلا لأمكن أن يحضر أي إنسان صحيفة ويدعي فيها ما يشاء، بل لابد للصحيفة المكتوبة أن يوثقها كاتبها الثقة الأمين ويشهد له بما يدعيه شاهدان كما هو حكم الشريعة في الإثبات. أما غير كاتبها فلا يعرف القراءة حتى يشهد بمضمونها، ولو كان من القلة التي تعرف الكتابة فشهادته بمضمونها إنما هي بحسب أخذه هو، فحصل الإعواز بفقد الموثقين للصحف المكتوبة، وإذا لاحظنا قلة الكتّاب وأنه استشهد منهم عدد كثير أدى ذلك عند أولي الألباب إلى الخوف من أن يصبح النقل بواسطة الأحاد ويذهب كثير من القرآن من نقل التواتر. أو يذهب بالمرّة، لعدم وجود الحفاظ الذين يحفظونه بتمامه ليقوموا

بقراءته على وفق ما تلقوه من النبي (ﷺ)، وهذا التخوف وإن كان ضعيفاً لكن الصحابة أخذوا به احتفاظاً للقرآن وما أجدر القرآن بهذا الاحتياط .

٣- أن رسم الكتابة في عهدهم كان بدائياً، ويحتمل عدة أوجه من القراءة، فلا بد من وجود الحفاظ والكتاب في آن واحد ليقرءوا القرآن حسب ما تلقنوه من النبي (ﷺ) . وكتب وفق تلقينه هذا .

ويؤيد هذا ما ثبت من طريقتين صحيحين في الحديث بين عمر وأبي بكر لما كثرت القتل بين الصحابة في حروبهم للمرتدين وقتل كثير من القراء أي حفاظ القرآن وخاف عمر بن الخطاب عواقب ذلك فقال لأبي بكر الصديق : (إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء القرآن، وأنا أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن . فيذهب كثير من القرآن لا يوعى، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ...) (١).

وهذا واضح بحقيقة الخوف : (أنه يذهب كثير من القرآن لا يوعى) وإذا لم يوع بسبب ذهاب حفظته الذين أتقنوا تلاوة وترتياً لآياته وسوره بالتلقي من النبي (ﷺ)، فسيدخل الالتباس في هذه الصحف المكتوبة .

وهكذا تبين أن خوف الصحابة من ذهاب شيء من القرآن إذا استحرَّ القتل في القراء لا يخالف ولا يعارض وجود القرآن مكتوباً بأي وجه من الوجوه .

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ١٤ .

* أدلة جازمة على كتابة القرآن :

وثمة نصوص كثيرة تثبت كتابة القرآن وانتشاره مكتوباً، ولو في نطاق غير واسع، تؤكد ما ذهبنا إليه ، نذكر منها :

١ - الحديث المشهور الصحيح : (أن النبي ﷺ) نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو). متفق عليه . وفي لفظ لمسلم : ان رسول الله ﷺ قال : (لا تسافروا بالقرآن فاني لا أمن أن يناله العدو). (١) وهذا ظاهر في وجود المصاحف عندهم مكتوبة، كما أشار البخاري في صحيحه، بل ثبت الحديث وصح من أكثر من وجه بلفظ : (بالمصحف). (٢)

٢ - كذلك الحديث الصحيح : (أن لا يمسه القرآن إلا طاهر)، أخرجه مالك والنسائي وابن حبان. وهو حديث مستفيض، رواه جماعة من الصحابة، منهم : عمرو بن حزم، وابن عمرو، وحكيم بن حزام، وعثمان بن أبي العاص، وثوبان. (٣)

٣ - ما تظاهرت به الأخبار أن سبب إسلام عمر بن الخطاب كان سماعه القرآن من سورة طه، يُقرأ من صحيفة في بيت أخته فاطمة، ثم أخذ تلك الصحيفة وقرأها، وكان ذلك سبب تحوله إلى الإسلام. (٤)

(١) البخاري في الجهاد (باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو) ج ٤ ص ٥٦ ومسلم في الامارة (باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار . .) والموطأ في الجهاد ج ٢ ص ٤٤٦ وأبو داود في الجهاد رقم ٢٦١٠ .

(٢) انظرها في كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٠٦ .

(٣) الموطأ ج ١ ص ١٥٧ والنسائي في الديات (ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول) ج ٨ ص ٥٧ - ٦١ لكن لم يذكر موضع الشاهد، لأنه اقتصر على ما يناسب الباب من الحديث، وموارد الظمان ص ٢٠٣ . وانظر روايات الحديث واثبات صحته بتوسع في التلخيص الحبير ج ٢ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ونصب الراية ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٩ ، وكتابنا دراسات تطبيقية في الحديث النبوي (العبادات) ص ٧٨ - ٨٠ ، وانظر هذه الاستدلالات في نكت الانتصار ص ٢٥٦ .

(٤) انظر التفاصيل في السيرة النبوية لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٨ ، وانظر الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني ترجمة عمر بن الخطاب، واخته فاطمة بنت الخطاب .

* وختاماً:

نخلص من هذا البحث إلى نتائج في غاية الأهمية، نلخصها فيما يلي:

١ - أن دراسة موضوع جمع القرآن الكريم ترجع إلى مصادرنا الأساسية الأولى من السنة التي عنيت بأمر القرآن، وعقدت مصادرها أبواباً خاصة لجمعه، ولذكر أشهر حفاظه، وبيان فضائله، وقدمت لنا معلومات دقيقة ومفصلة عن ذلك كله. وتلك مزية هامة وخصوصية في دراسات القرآن الكريم، فإنه لا يوجد مثل هذه المواد العلمية الموثقة لغير القرآن.

٢ - أن العلماء منذ القديم قاموا بدراسات حول جمع القرآن ونقله وحفظه، ودوتوا ذلك في كتب الحديث الأساسية، ثم في كتب علوم القرآن، كما هو واضح من المراجع التي بني عليها بحثنا، واستمد مواده منها، وأن هذه الدراسات شملت كل ما يتعلق بالموضوع بدقة تامة.

٣ - أن القرآن أحيط بسياج منيع من المحافظة عليه في غاية الإحكام والدقة، منذ أيامه الأولى التي بدأ فيها الوحي ينزل على النبي (ﷺ)، وهكذا على توالي العصور والأزمان.

كان رسول الله (ﷺ) يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من هذا القرآن، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية وآيات أن هذه الآية أو الآيات توضع في مكان كذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكل سورة أنها بعد سورة كذا.

وكان رسول الله (ﷺ) يحض أصحابه على حفظ القرآن في صدورهم، ويتعهدهم بذلك، حتى حفظ منهم بتمامه في حياته الشريفة عدد كبير جداً يفوق عدد التواتر، خلا ما حفظ كل قسم منه من جماهير الصحابة.

كذلك كان النبي (ﷺ) يأمر بكتابة القرآن فور نزول الوحي عليه، وكان الكتاب يكتبونه بغاية الحرص، حتى وجد عدد كثير من القرآن مكتوباً عند الصحابة.

ومن ثم استمر المسلمون على حفظه وضبطه إلى يوم القيامة بما لم يكن لكتاب قط.

وهكذا بقى هذا القرآن في هذا السياج المنيع من الحفظ والضبط بفضل حفظه المحكم المتين في عهد النبي (ﷺ) في صدور الحفاظ وسطور الكتاب، واستمر كذلك عبر الأجيال والقرون، لا يضاهيه كتاب في هذا الذي أحيط به ولا ببعض منه، تتحطم على صلابه حصنه الحفيظ أيادي الأيام، وعوادي الأعدى اللئام، ليكون القرآن الملاذ الوحيد لهذه الإنسانية، تطمئن إليه، وتأمن الشك والريب في ساحته، فتسير بهديه على المحجة البيضاء، والطريق المستقيم الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.



* ثبت المراجع *

- ١ - الإتيقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ط. مصطفى الباي الحلبي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- ٢ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بلبان، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣ - البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الأولى. سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٤ - تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
- ٥ - تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٦ - تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر، تصوير بيروت، عن طبعة الهند.
- ٧ - تفسير ابن كثير، طبع مطابع الشعب، بالقاهرة.
- ٨ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر، طبع الهند.
- ٩ - تلخيص المستدرک للذهبي بذييل المستدرک للحاكم.
- ١٠ - جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، ط، مصر - مصطفى الباي الحلبي.
- ١١ - الجامع الصحيح، للبخاري، مطبعة بولاق، الطبعة الثالثة سنة ١٣١٣ هـ.
- ١٢ - الجامع للترمذي (سنن الترمذي)، طبع مصطفى الباي الحلبي سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.
- ١٣ - الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي، تصوير بيروت.
- ١٤ - السنن، لابن داود السجستاني، طبعة المكتبة التجارية بمصر، الطبعة الأولى.
- ١٥ - السنن، لابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبع دار احياء الكتب العربية، بمصر.
- ١٦ - السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
- ١٧ - الصحيح، للإمام مسلم، طبع استانبول، دار الطباعة العامرة. سنة ١٣٢٩ هـ.
- ١٨ - الضعفاء للبخاري ط. دار الوعي - حلب.
- ١٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، تصوير بيروت عن الطبعة البولاقية.

- ٢٠ - القاموس المحيط، للفيروز أبادي، طبع مؤسسة الرسالة، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى.
- ٢١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، طبع استانبول.
- ٢٢ - المجتبى للنسائي (سنن النسائي) بحاشيتي السيوطي والسندي، تصوير بيروت.
- ٢٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، تصوير بيروت.
- ٢٤ - المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، لابن عطية، طبع المجلس العلي بفاس.
- ٢٥ - مختار الصحاح، للرازي، طبع المكتبة الأموية ودار الفكر.
- ٢٦ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، طبع دار صادر بيروت.
- ٢٧ - المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری، طبع الهند.
- ٢٨ - المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تصوير بيروت، المكتب الإسلامي - المسند، لأبي داود الطيالسي، تصوير بيروت.
- ٢٩ - المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود السجستاني، طبع مصر بتحقيق آرثر جفري، وتصوير بيروت بحذف التقديم والفهارس.
- ٣٠ - المصباح المضي في كتاب النبي العربي الأمي، لابن حديدة الأنصاري، (مخطوط) دار الكتب الوقفية بحلب.
- ٣١ - المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق نور الدين عتر، طبع دار المعارف، حلب.
- ٣٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
- ٣٣ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي تصوير دار المعرفة، بيروت.
- ٣٤ - الموطأ، للإمام مالك بن أنس، مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطي، طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- ٣٥ - نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية، للزيلعي، طبع دار المأمون، بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧هـ.
- ٣٦ - نكت الانتصار، للصيرفي، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، طبع منشأة المعارف، بالاسكندرية.